بعض الدقة ، الا انه لا يكفي الا اذا اخذنا بعين الاعتبار مغزى دور الزعامة الذي انيط بهرتزل . وفي هـذا المضمار ، نجـد ان هرتزل وضـع بمثابة واجهة مؤاتية للحركـة الصهيونية يبعد الانظار عمن وقفوا فعليا وراءها ، في حين انه من وجهة النظر العالمية فان زعامته لم تكن سوى زعامة اسمية وشكلية .

الواقع ان دفع هرتزل الى واجهة الحركـة الصهيونية كان قـد بدأ قبل لقائه بالبارون روتشيلد . فما ان صدر كراس الدولة اليهودية منذ بداية عام ١٨٩٦ حتى بدأت تتوافد الى هرتزل اعداد بعض الصهيونيين المارين في فيينه وخاصة في شرقي اوروبه . وبالطبع لم يوافق الصهيونيون هؤلاء على الاراء الدون كيشوتية التي أوردها هرتزل (مثـلا نقل مقاهي فيينه الى المنطقة الجديدة واقامة متحف « لوفر » فيها وتحنيط جثث الذين يموتون خلال الرحلة ... الخ) ولكنهم وجدوا فيه على ما يبدو اداة مناسبة لاغراضهم . وكان من اهم الذين توافدوا لزيارة هرتزل ، زعيم جمعية احباء صهيون في روسيه مناحيـم اوشيشكين ، الذي كان مارا بمدينة فيينه في طريقه من روسيه الى باريس لمقابلة البارون روتشيلد الذي كان ممول احباء صهيون، فحثه الصهيوني الفييني القديم ، ناثان بيرنباوم، (الذي كان أول من استنبط عبارة « الصهيونية ») على زيارة هرتزل والتعرف اليـه . ولم يذكر هرتزل في مذكراته هذه الزيارة التي كان لها تأثير حاسم في مستقبله الصهيوني على الرغم من انه سجل جميع الاحداث الاقل اهمية بما في ذلك الاحداث التافهة ، ربما لانه لم يعتبر انها كانت ذات اهمية الا ان اوشيشكين نفسه وصف انطباعـه عن هرتزل في هذه المقابلة وذكر كيف انه بعد عودته من زيارة هرتزل سأله بيرنباوم عن انطباعاته عن هرتزل فقال : « انه سيؤدي خدمات كبيرة الى حركة فلسطين . فجاذبية شخصيته ستجتذب دون شك جميع اليهود الروس وربما يهود اوروبه الغربية ايضا . وعنده نقص كبير واحد ، ولكن هذا النقص من شأنه بالواقع ان يكون مفيدا جدا في الظروف الحالية. فهو لا يعرف شيئا على الاطلاق عن اليهود ، وهو لذلك يعتقد ان الصهيونية لا تواجـه سوى صعوبات خارجية وليس صعوبات داخلية . ويجب الا تتفتح عيناه وبذلـك يبقى ايمانه بقضيتنا كبيرا » !

وبناء على ذلك ، فقد وجد هرتزل نفسه يدفع الى رئاسة الحركة الصهيونية ، مع العلم ان قراءة اليوميات تظهر انه لم يقم على قيادتها فعليا بل كان « الزعيم الفخري » لها . ومـع مرور الزمن ، بات هرتزل يعتبر مؤسس الصهيونية مـع انه لـدى توصله الى الصهيونية كانت هذه الحركة بتمويل اثرياء اليهود وعلى رأسهم البارون روتشيلد قد قطعت شوطا كبيرا منذ أوائل ثمانينات القرن الماضي تنظيميا في اوروبه وماليا واستيطانيا في فلسطين . الا أن هرتزل اعتبر مؤسس الصهيونية على أساس ان انعقاد المؤتمـر الصهيوني الاول في بازل (وهو الذي تشكلت اكثريـة عضويته الساحقة مـن ممثلي جمعيتي التوطين الرئيسيتين : « احباء صهيون » التابعة لعائلة روتشيلد و« جمعيـة التوطين اليهودية » التابعة لعائلة هيرش بالاضافة الى ممثلي الاتحـاد اليهودي العالمي الفرنسي)، لكن كان قد تم بأن قامت هذه المنظمات بالترتيبات اللازمة للمؤتمر في حين طلب من هرتزل الدعوة « الشكلية » اليه والاعلان « الرسمي » عنه . ولا شك في ان انعقاد هذا المؤتمر لو تم باسم ممثلي جمعيتي روتشيلد وهيرش (خـاصة وان الفترة اللاحقة شهدت اندماجهما عند تخلي الاخيرة عن عمليات الارجنتين)، لكان اثار شكوك الحكومات الاوروبية المتنافسة على فلسطين وشكوك السلطنة العثمانية على مستوى عال وربما كان من شأن ذلك اعاقة نمو الحركة الصهيونية . اما انعقاده باسم هرتزل الذي اراد واعلن مرارا وبكامل الجد عن هدفه بشراء فلسطين قانونيا من السلطان العثماني مقابل مليوني جنيه ، فان من شأن ذلك الا يؤخذ بالجد الذي انطوى عليه مما حال دون قيام الشكوك المترتبة عليه . وهكذا ترأس هرتزل المؤتمر الصهيوني الاول والثاني والثالث